تقديم

حارسة نارنا المقدسة حين تكتب

إضاءات نقدية حول الكتابة النسوية

لست من القائلين بتقسيم الأدب والإبداع الفني والفكري وفق جنس مبدعه. لكن هذا الإصدار الذي يحمل المداولات النقدية لأعضاء (ندوة اليوم السابع) وقد خصّص لما أنتجته أقلام نسوية، يفرض حضوره، ويرمز إلى الانحياز ذي الدلالة لما تكتبه أقلام نسوية في مجال الأدب الروائي والقصصي، والشعري، وما بات يعرف مؤخرا بـــ (النصّ الأدبي) الذي يهرب من التجنيس، بل يتمرد عليه، لأنه يأخذ من كلّ بستان زهرة ، ومن كّل خاصية طرفا أن تكتب المرأة يعني أنها تنتصر للحياة ابتداء . وحين تكتب فإنها تكتب بروحها، وعلمها، وعاطفتها، وصدقها، وفكرها. وسيجد الدارس المتفحص خصوصية لما ينتجه القلم النسوي عن رفيقه القلم الآخر. لذا أجد نفسي منحازا لما تكتبه المرأة الكاتبة سعيا لمعرفة كيفية التعبير عن قضاياها الخاصة والعامة، لأطلّ من نافذة روحها إلى واقعها الذي لا أحد قادر على التعبير عنه أكثر منها، ولا

أفضل منها لرسم خيوط معاناتها الإنسانية، والوطنية، في ظل مجتمع محكوم بقوانين الاحتلال، والأعراف الاجتماعية التي قد تحدّ أحيانا من انطلاقتها الإبداعية، وانتمائها الوطني في التعبير عنه بطريقة إبداعية خاصة.لا أضيف جديدا حين أعيد ما بات معروفا من القول: إن المرأة في مجتمعنا تعاني اضطهادا مزدوجا. لذا تكون قراءة إنتاجها الإبداعي ذات وقع خاص، وتعبير مميز، وهي تمتلك التجربة الخاصّة، والموهبة اللافتة، واللغة التعبيرية ذات الإشارات الخاصة بمنتجتها. فاللغة تحمل التعبير عن كاتبتها، ثقافيا ونفسيا.

إن المعاناة الوطنية السياسية الواقعية في بلادنا واحدة للشعب الفلسطيني المنكوب، برجاله ونسائه وأطفاله، وما أنتجته الأقلام النسوية في هذا المجال لا يجد ما يميزه عما أنتجه رفيقها الرجل على المستوى السياسي الرافض للاحتلال ، الساعي للحرية وقيم العدالة السياسية.

يبقى البحث في السطور وما وراءها وما بينها عن معالم الشكوى، والنقد، والمعاناة التي تنقلها في إشاراتها لواقعها الخاص كأنثى في مجتمع تصطرع فيه المفاهيم، وتتعاكس الرؤى، وتختلف الآفاق، فلا أصدق من التعبير عن واقع المظلوم أكثر من المظلوم ذاته، بتجربته، ولغته، وعاطفته، وتعبيره.

سنجد بعد تحليل ما كتبته المرأة الكاتبة جمالا في الأسلوب، وجرأة في الطرح، وتعبيرا عن الهموم والقضايا الإنسانية العامة والخاصة. وسنجد تميزا لافتا للنظر داعيا للتوقف في الكتابة النسوية حين تتحدث بلغة العاطفة الذاتية، والوطنية.

وهو تميّز عائد في أحد مسبباته إلى طبيعة تكوين الأنثى الحساس الصادق، الداعي إلى التربية والتغيير.

هنا في هذا الإصدار التاسع لمداولات (ندوة اليوم السابع) ننتصر للمرأة المبدعة. هذه التي تكتب، وتعمل وتناضل على الجبهة الثقافية لتضيف عبئا آخر إلى جانب أعبائها الأخرى القائمة، وهي تؤكد قدرتها على الإسهام في بناء الوطن.

المرأة المبدعة في الأعمال المدروسة هنا ليست كلا واحدا، ولا قلما واحدا ينطلق من موقف محدد المعالم ذي استراتيجية مدروسة مسبقا. بل سنجد التعبير الفني بلغة الأدب والوصف ونقل المشاعر وتاريخ المكان والإنسان، بروح شفافة أحيانا، وبتعبير ساحر أحيانا ...ولكنه قد يسقط في فخ التقليد للأدب الغربي البعيد عن ذائقة القارئ العربي، والفلسطيني تحديدا، حين يتناول قضيته المركزية، ويرسم أفق حلولها بروح قد لا نتفق معها في مستوى الحل السياسي. فالأفكار تختلف هنا، وقد تصل حد التمرد السلبي المعبر عن سورة غضب تدميري منفلت من إطاره الموضوعي الحكيم.

ولا عجب هنا، فالأدب بناء فكري يحمل أصوله النابعة من معتقدات كاتبه وفلسفته الخاصة.

المرأة هنا، في هذه الإضمامة من الأعمال المدروسة، شريحة ممثلة لما يقلق جنسها وشعبها وذاتها .